سعيد بن جبير الأسدي
٤٦ ـ ٩٥هـ

الأستاذ الدكتور
عبد الرسول الغفاري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية

سعيد بن جبير الأسدي ٤٦ـ ٩٥هـ

الأستاذ الدكتور
عبد الرسول الغفاري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية

المقدمة:ـ

أبو عبد الله، أبو محمد، سعيد بن جبير بن هشام الاسدي بالولاء، مولى بني والبة بن الحارث، كوفي احد اعلام التابعين وكان اسود، اخذ العلم من عبد الله بن العباس.

كان يأتم بعلي بن الحسين عليه السلام، وكان الإمام يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلاّ على هذا الأمر وكان مستقيماً (أعيان ١١/١٩٩).

ذكره الشيخ الطوسي في رجاله في اصحاب علي بن الحسين ... اصله الكوفة، نزل مكة، تابعي (رجال الطوسي).

وعن المناقب أنه عدّه من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام، وقال: كان يسمى جهبذ العلماء، ويقرأ القرآن في ركعتين، وقتل وما على الأرض أحد إلاّ وهو محتاج إلى علمه (المناقب).

وروى الكشي فقال: لم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلاّ خمسة انفس وعدّ منهم سعيد بن جبير (وسعيد بن المسيب .... وقد التبس على البعض كالشهيد الثاني في حاشيته على الخلاصة أنه كان سعيد من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع.

قال عنه الذهبي: سعيد بن جبير الوالبي، مولاهم الكوفي المقرئ، الفقيه، احد الاعلام، سمع من ابن عباس وعدي بن حاتم، قتله الحجاج في شعبان

سنة ٩٥هـ وله تسع واربعون سنة، وهو من الذين كانوا يقرأون هذه الآية ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

لسعيد قراءة معروفة من ذلك انه قرأ: (إن هذين لساحران) وهي قراءة أبي عمر، وروى هذه القراءة كل من الصحابة عائشة وعثمان، ومن التابعين سعيد بن جبير وابراهيم النخعي، ومن القرّاء: عيسى بن عمر وعاصم الجحدري، وذكروا لهذه الآية ست قراءات جمعها أبو جعفر النحاس[2].

قال حزن هذا جد سعيد بن المسيب على ما ذكره جماعة منهم الصغائي في باب من غير النبي ﷺ اسمه من الصحابة وسماه سهلاً إلى ان قال: وكان حقه ان يذكر في باب سعيد بن المسيب.

وحزن هذا جد سعيد بن المسيب لا جد سعيد بن جبير.

وفيما قيل في علمه:

قال خصيف: كان من اعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب وبالحج عطاء وبالحلال والحرام طاووس وبالتفسير ابو الحجاج مجاهد بن جبير واجمعهم ذلك كلّه سعيد بن جبير وكان سعيد في أول امره كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ثم كتب لأبي برذة بن أبي موسى الاشعري.

وذكره ابو نعيم في تاريخ اصبهان فقال: دخل اصبهان وأقام بها مرة ثم ارتحل منها إلى العراق وسكن قرية سنبلان.

وروى محمد بن حبيب أن سعيد بن جبير كان بأصبهان يسألونه الحديث فلا يحدث، فلما رجع إلى الكوفة حدّث فقيل له: يا ابا محمد كنت بأصبهان لا تحدث وأنت بالكوفة تحدث؟ فقال: انشر بزك حيث يعرف وقال احمد ب

حنبل: قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلاّ وهو محتاج إلى علمه.

وعن تغريب ابن حجر: سعيد بن جبير الاسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت، فقيه، من الثالثة.

وعن مختصر الذهبي: سعيد بن جبير الوالبي مولاهم ابو محمد ويقال ابو عبد الله أحد الاعلام.

وعن المقدسي: أنه كان فقيهاً ورعاً أحد اعلام التابعين، روى عن ابن عباس وأخذ العلم عنه وروى عنه ابنه عبد الله والحكم بن عيينة.

تعبيره للرؤيا:

ذكر ابن خلكان قال: رأى عبد الملك بن مروان في منامه كأنه قد بال في المحراب اربع مرات فوجه إلى سعيد بن جبير من يسأله، فقال: يملك من ولده لصلبه اربعة، فكان كما قال، فملك من ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

كأن سعيد استفاد من بول عبد الملك في المحراب اربع مرات الذي هو محرم أنه يملك من ولده لصلبه اربعة يستبيحون المحرمات[٣].

سعيد بن جبير بن هشام الاسدي الوالبي:

من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام، كما في رجال الشيخ الطوسي قائلاً عنه: ابو محمد[٤] مولى بني والبه، اصله من الكوفة، نزل مكة وكان يسمّى جهبذ العلماء[٥].

وقال الكشي في رجاله: لم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلاّ خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي[٦].

وعن أبي المغيرة، عن الفضل، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام: إن سعيد بن جبير كان يأتمّ بعلي بن الحسين عليه السلام وكان علي عليه السلام يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلاّ على هذا الأمر، وكان مستقيماً.

حواره مع الحجاج:

وذكر أنّه لما دخل على الحجاج قال له: أنت شقي بن كسير؟! قال: أمي كانت اعرف باسمي، سمّتني سعيد بن جبير، قال: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ هما في الجنة او في النار؟ قال: لو دخلت الجنة فنظرت إلى اهلها لعلمت من فيها، وان دخلت النار ورأيت اهلها لعلمت من فيها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟

قال: لست عليهم بوكيل.

قال: أيّهم أحبّ إليك؟

قال: ارضاهم لخالقه.

قال: فأيّهم ارضى للخالق؟

قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم.

قال: أبيت ان تصدقني!

قال: بل لم أحبّ ان أكذّبك(٧).

وزاد ابن قتيبة بعد قوله: (أمي اعلم)، قال الحجاج: شقيت وشقيت امك، قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك.

قال الحجاج: لأردنّك حياض الموت.

قال سعيد: اصابت إذن أمي اسمي.

فقال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظّى.

قال سعيد: لو اعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

قال الحجاج: فما قولك في محمد؟

قال سعيد: نبي الرحمة ورسول رب العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة.

فقال الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟

قال: لست عليهم بوكيل، كل امرئ بما كسب رهين.

قال الحجاج: أشتمهم أم أمدحهم؟

قال سعيد: لا أقول ما لا أعلم إنما استحفظ أمر نفسي.

قال الحجاج: صف لي قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار؟

قال: لو دخلت الجنة....

قال الحجاج: فأي رجل أنا يوم القيامة؟

فقال سعيد: أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب.

إلى أن قال الحجاج: أنا احب إلى الله منك.

قال سعيد: لا يقدم احد على ربّه حتى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم.

قال الحجاج: كيف لا اقدم على ربّي في مقامي هذا وأنا مع امام الجماعة وانت مع امام الفرقة والفتنة؟

قال سعيد: ما أنا بخارج الجماعة ولا أنا براضٍ بالفتنة.[٨]

وله حوار آخر مع الحجاج:

كما في وفيات الاعيان أنه لما امر بقتله قال: (وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين).

فقال الحجاج: شدّوا به لغير القبلة.

فقال سعيد: (ايما تولّوا فثمّ وجه الله).

فقال الحجاج: كبّوه على وجهه.

فقال سعيد: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[٩].

ما دار بين الحجاج وسعيد

خرج سعيد بن جبير مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على عبد الملك ابن مروان، فلما قُتل عبد الرحمن وانهزم اصحابه من دير الجماجم هرب فلحق بمكة، وكان واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري فأخذه وبعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع اسماعيل بن اواسط البجلي، فقال له الحجاج: يا شقي بن كُسير، أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها الا عربي فجعلتك إماماً؟

فقال سعيد: بلى.

قال الحجاج: أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح للقضاء الا عربي فاستقضيت أبا بردَة بن أبي موسى الاشعري وامرته أن لا يقطع امراً دونك؟

قال: بلى.

قال: اما جعلتك في سُمّاري وكلهم رؤوس العرب؟

قال: بلى.

قال: أما اعطيتك مائة الف درهم تفرقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم اسألك عن شيء منها؟

قال: بلى.

قال: فما اخرجك عليّ؟

قال: بيعة كانت في عنقي لابن الاشعث، فغضب الحجاج ثم قال: فما كانت بيعة امير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل؟ والله لأقتلنك، يا حرسي اضرب عنقه، فضرب عنقه، وكان يوم أخذ يقول: وشى بي واشٍ في بلد الله الحرام، أكِلهُ إلى الله تعالى، يعني خالد بن عبد الله القسري(١٠).

قيل للحسن البصري: إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير، فقال: اللهم ايت على فاسق ثقيف، والله لو ان مَن بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبّهم الله عز وجل في النار(١١).

سعيد بن جبير:

قال فيه أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ): سعيد بن جبير... ابو عبد الله الكوفي المكي من اكابر اصحاب ابن عباس كان من أئمة الاسلام في التفسير والفقه وانواع العلوم، وكثرة العمل الصالح، رحمه الله، وقد رأس خلقاً من الصحابة وروى عن جماعة منهم، وعنه خلق من التابعين وغيرهم. يقال إنه كان يقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة وكان يقعد في الكعبة فيقرأ فيها الختمة، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة، وقد قال ابن عباس وقد أتاه أهل الكوفة يسألونه: أليس فيكم سعيد بن جبير؟ وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون، عن ابيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلاّ وهو محتاج إلى علمه، وكان في جملة من خرج مع ابن الاشعث على الحجاج، فلما ظفر الحجاج هرب سعيد إلى اصبهان، ثم كان يتردد في كل سنّة إلى مكة مرتين، مرة للعمرة ومرة للحج، وربما دخل الكوفة في بعض الاحيان فحدّث بها، وكان بخراسان يتحزّن لأنه كان لا يسأله

احد عن شيء من العلم هناك، وكان يقول إن مما يَهُمّني ما عندي من العلم، وددت ان الناس أخذوه، واستمر في هذا الحال مختفياً من الحجاج قريباً من ثنتي عشرة سنة، ثم ارسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج[١٢].

روى عن سعيد القراءة:

روى عن سعيد القراءة عَرْضا: المنهال بن عمر.

وأبو عمرو بن العلاء.

قال وفاء بن إياس: قال لي سعيد في رمضان: امسك عليّ القرآن، فما قام من مجلسه حتى ختمه.

قال سعيد: قرأت القرآن في ركعة في البيت الحرام.

وقال اسماعيل بن عبد الملك: كان سعيد بن جبير يؤمّنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة غيره، هكذا ابداً وسأله رجل ان يكتب له تفسير القرآن، فغضب، وقال: لان يسقط بشقي احبّ الي من ذلك.

وقال خصيف: كان من اعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير ابو الحجاج مجاهد بن جبير، واجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير[١٣].

كلمات مفتعلة وأكاذيب ألصقت بسعيد بن جبير

- لعبه بالشطرنج.
- ختم القرآن في ركعة واحدة.
- ختم القرآن مرتين ونصف في ركعة في الليل.
- كونه من المرجئة.

في اكذوبة لعبه الشطرنج ينظر:

أبو إسحاق الشيرازي، المهذب في فقه مذهب الشافعي ٣٢٥/٢، حيث نسب إلى ابن جبير استحسان اللعب بالشطرنج.

وهذا كذب صريح ونقل هذه الاكاذيب كل من:

ابن خلكان في الاعيان ٣٧٣/٢

الخوانساري في الروضات ٣٨/٤

محسن الكاظمي في عدة الرجال ٤٣/٢

وقد ردّ هذه الاكذوبة الخطيب الهاشمي في (كتابه سعيد بن جبير شهيد واسط) ص٦٦.

جاء في العديد من المصادر انه ختم القرآن في:

ركعتين، في ركعة واحدة، ختمتان ونصف في ليلة واحدة، ختمة ما بين صلاتي المغرب والعشاء و...

ينظر ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٧٩/٣

تذكرة الحفاظ ٧٦/١، سير اعلام النبلاء ٣٢٤/٤، حلية الاولياء ٢٧٣/٤، البداية والنهاية ١٠٤/٩.

في شأن الختمة التي كان يختمها سعيد بن جبير:

هل ذلك من الكرامات والمعاجز؟ أم أنها خارجة عن حدود العقل والمعقول؟ كلمات القرآن (٧٧٩٣٤) كلمة فلو قدرنا ان الكلمة الواحدة تستغرق ثانية واحدة أي (٧٧٩٣٤) ثانية وان الساعة والواحدة تساوي (٣٦٠٠) ثانية فان قراءة القرآن تحتاج إلى ٢١ ساعة ونصف وهذا يعني ان

الرجل سيعطل كل مستلزمات الحياة بل ستمضي عليه الفرائض اليومية اضافة إلى ما كان يتحمله سعيد من واجبات كالصلاة الجامعة واقامة حلقات الدرس والافتاء وقضاء حوائج الناس وغير ذلك...

ثـم الا يكـون مـن الاجـدران يمتثـل قـول الرسـول واوامـره في صـدد قـراءة القرآن حيث سُئل في كم اقرأ القرآن؟ قال: في شهر قال السائل اني اقوى مـن ذلك يردد الكلام ابو موسى وتناقصه حتى قال: إقرأه في سبع، قـال أنـي اقـوى من ذلك: لا يفقه من قرأه في اقل من ثلاث(١٤).

وقد صح النهي عن قراءة القرآن في اقل من ثلاث.

توجيه الشيخ الامين في الغير ٥/٨٥-٦٧

المرجئة وسعيد بن جبير:

عن عبد الله بن حبيب عن امه قالت: سمعت سعيد بن جبير وذكر المرجئة فقال اليهود(١٥).

وعن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال: مثل المرجئة مثل الصابئين.

وعنه ايضاً ذكر سعيد بن جبير المرجئة فضرب لهم مثلاً قال مثلهم مثل الصـابئين انهم أتوا اليهود فقالوا ما دينكم؟ قـالوا اليهوديـة، قـالوا فمـا كتـابكم؟ قـالوا: التـوراة قالوا: فمن نبيكم؟ قالوا: موسى، قالوا: فماذا لمن تبعكم، قالوا: الجنة.

قم اتوا النصارى، فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: النصرانية، قـالوا: فمـا كتـابكم؟ قالوا: الانجيل، قالوا: فمـن نبـيكم؟ قـالوا: عيسـى ثـم قـالوا: فمـاذا لمـن تـبعكم؟ قالوا: الجنة فوال فمن به ندين(١٦).

سعيد والجانب العقائدي:

حماد بن زيد عن ايوب قال: قال لي سعيد بن جبير: ألم أرك مع طلق؟

قال: قلت بلى، فما له؟

قال: لا تجالسه فانه مرجئ.

قال: قال ايوب: وما شاورته في ذلك ولكن يحق للمسلم اذا رأس من أخيه ما يكره أن يأمره وينهاه[١٧].

وعن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير مثل المرجئة مثل الصابئين[١٨].

وقال سعيد: غير سائله ولا ذاكراً ذاك له لا تجالس طلقاً يعني انه كان يرى رأي المرجئة.

المرجئة:

أن ذراً أبا عمر أتى سعيد بن جبير يوماً في حاجة فقال لا حتى تخبرني على أي دين أنت اليوم أو رأي أنت اليوم فانك لا تزال تلتمس ديناً قد اضللته الا تستحي من رأي أنت اليوم أكثر منه[١٩].

عن أبي جحاف قال: قال سعيد بن جبير لذر يا ذر ما لي اراك كل يوم تجدد ديناً؟![٢٠].

وعن أبي المختار قال شكى ذر سعيد بن جبير إلى أبي البختري الطائي فقال: مررت عليه فلم يرد علي فقال ابو البختري لسعيد بن جبير، فقال سعيد ان هذا يجدد كل يوم ديناً لا والله لا اكلمه أبداً[٢١].

قال سعيد انه المرجئة يهود القبلة[٢٢].

من هم المرجئة:

المُرجئة بصيغة الفاعل (المُرجئ) من ارجأ الامر: أخّره.

قال ابن منظور: أرجأت الأمر وأرجيته: إذا أخّرته قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إليك مَنْ تَشَاءُ﴾[٢٣].

والإرجاء: التأخير، والمرجئة صنف من المسلمين [٢٤] ويحتمل أن يكون مأخوذاً من الرجاء أي الامل، والمعنى الاول هو المشهور.

واصحاب هذا المذهب هم فرق متعددة، وكلامهم كان منصباً في تحديد معنى الإيمان، وبرزت أقوال عديدة في العصر الأول، وطال الكلام بين الخوارج والمعتزلة، فذهب المرجئة إلى أنه عبارة عن مجرد الإقرار بالقول واللسان وإن لم يكن مصاحباً لعمل، فأخذوا من الإيمان جانب القول، وتركوا العمل، فكأنهم قدموا الاول وأخّروا الثاني، واشتهروا بمقولتهم (لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة) وعلى هذا فهم والخوارج في هذه المسألة على جانبي نقيض.

فالمرجئة لا تشترط العمل في حقيقة الإيمان وترى العاصي ومرتكب الذنوب، صغيرها وكبيرها، مؤمناً حتى تارك الصلاة والصوم وشارب الخمر ومقترف الفحشاء و...

والخوارج يضيقون الأمر فيرون مرتكب الكبيرة كافراً، ولأجل ذلك قاموا بتكفير عثمان للأحداث التي انجرّت إلى قتله، وتكفير علي عليه السلام لقبوله التحكيم وان كان عن اضطرار.

ويقابلها المعتزلة؛ القائلون بان مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا فاسق بل في منزلة بين الامرين، فزعمت انها اخذت بالقول الوسط بين المرجئة والخوارج.

أما الإمامية الاثنا عشرية أن مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق.

وما ذهب إليه ابن الأثير في كتابه النهاية بانهم سمّوا مرجئة لاعتقادهم بأن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخّر عنهم.

نستخلص مما تقدم أن القوم - المرجِئة - وإن أخروا العمل وأخرجوه عن كونه مقوّماً للإيمان او بعضه، ولم يعتبروا جزءاً وشرطاً، ولكن لم يتفقوا على

تفسيره بالقول المجرّد، والإقرار باللسان، بل لهم آراء في ذلك.

من تلك الآراء:

رأي يونس بن عون، زعم ان الإيمان في القلب واللسان وانه هو المعرفة بالله والمحبة، والخضوع له بالقلب والإقرار باللسان[٢٥] وهذا الرأي اتخذ صورة لاتباع يونس فسمّوا باليونسية.

ومن المرجئة اتباع غسان المرجئ، زعمت أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله تعالى فاكتفت بأحد الامرين من الاقرار او المحبة.

وفي المقالات للأشعري ترى تفصيل تلك الآراء واختلافهم في الإيمان وجعلهم اثنتا عشرة فرقة[٢٦].

أول من قال بالإرجاء:

ربما تشير بعض المصادر إلى ان أول من قال بالإرجاء هو الحسن بن محمد ابن الحنفية، لكن لا على القول المتقدم بل المراد تقديم القول في الشيخين - الخليفتين - وتصديقهما وتأخير القول في حق عثمان وعلي وطلحة والزبير وارجاء امرهم إلى الله سبحانه والتوقف فيهم.

وللإيجاز نشير إلى مصادر هذا البيان:

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢٨/٥.

قال: كان الحسن بن محمد بن الحنفية أول من تكلم بالإرجاء وعن زاذان وميسرة انّهما دخلا على الحسن بن محمد بن علي فلاماه على الكتاب الذي وضعه على الارجاء، فقال لزاذان: يا ابا عمرو لوددت أني كنتُ مِتُّ ولم اكتبه.

وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.

٢- البداية والنهاية لابن كَثير ١٤٠/٩ في ترجمة الحسن قال:

وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والفقه ... كان أول من تكلم في الارجاء، وكتب في ذلك رسالة، ثم ندم عليها، وقال غيرهم: كان يتوقّف في عثمان وطلحة والزبير فلا يتولاّهم، ولا يذمّهم، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجّه وقال: ويحك ألا تتولّى أباك علياً...

٣- تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٤٦/٤ ط دمشق.

جاء في الجزء الرابع ان عثمان بن ابراهيم بن حاطب قال: أول من تكلّم في الارجاء هو الحسن بن محمد، كنت حاضراً يوم تكلّم، وكنت مع عمّي في حلقته، وكان في الحلقة جحدب وقوم معه، فتكلّموا في علي وعثمان وطلحة والزبير، فاكثروا، والحسن ساكت، ثم تكلم فقال: قد سمعت مقالكم، ارى أن يُرجأ علي وعثمان وطلحة والزبير، فلا يتولى ولا يتبرّأ منهم، ثم قال: فقمنا، فقال لي عمر: يا بني ليتخذن هؤلاء هذا الكلام إماماً. فبلغ اباه محمد ابن الحنفية ما قال: فضربه بعصا فشجه وقال: الا تتولى اباك علياً؟!

ودخل ميسرة عليه فلامه على الكتاب الذي وضعه في الارجاء فقال: لوددت أنّي كنت مِتُّ ولم اكتبه.

٤- تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٢٠/٢

جاء فيه، قال ابن حيان: كان الحسن من علماء الناس ... ثم اورد الكلام المتقدم عن زاذان، وبعدها قال ابن حجر: المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن ابن محمد فيه غير الارجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك اني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور اخرجه ابن أبي عمر العدني في كتاب الإيمان له، في آخره قال: حدّثنا ابراهيم بن عيينه عن عبد الواحد بن أعين قال: كان الحسن بن محمد يأمرني أن اقرأ هذا الكتاب على الناس: اما

بعد فإنا نوصيكم بتقوى الله، فذكر كلاماً في الموعظة والوصية لكتاب الله واتباع ما فيه وذَكَر اعتقادَه ثم قال في آخره: ونوالي ابا بكر وعمر ونجاهد فيهما، لانهما لم تقاتل عليهما الامة ولم نشك في امرهما، ونرجئ مِن بعدهما ممن دخل الفتنة، فنكيل امرهم إلى الله، إلى آخر الكلام ثم قال ابن حجر: فمعنى الذي تكلّم فيه الحسن أنه كان يرى عدم القطع على احدى الطائفتين المقتتلتين في الفتنة بكونه مخطئاً او مصيباً، وكان يرى انه يرجئ فيهما، واما الارجاء الذي يتعلق بالإيمان فلم يعرّج عليه فلا يلحقه بذلك عاب.

دراسة وتحليل ما تقدم:-

أولاً: أن الحسن والده محمد بن الحنفية، فهما وليدا البيت الهاشمي وولاءها لأمير المؤمنين عليه السلام لا يشك فيه أحد، كيف يكون مثل الحسن أساساً للإرجاء؟!

ثانياً: إن فكرة الأرجاء برزت بشكل سافر في الفتنة التي برزت ايام عثمان، فاين كان الحسن بن محمد؟!

وقد اجمعت المصادر انه توفي سنة ٩٩ ومنهم من يقول توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز عن عمر ناهز الستين اما ولادة ابيه محمد كانت سنة ٢٠هـ والكل يعلم ان مقتل عثمان كان في سنة ٣٥هـ واستشهد الإمام علي أمير المؤمنين سنة ٤٠هـ فكم كان عمر محمد بن الحنفية آنذاك حتى تنسب الارجاء إلى ولده، الذي هو في اصلاب الرجال وارحام النساء؟!

ثالثاً: ولو فرضنا ان الحسن كتب ذلك الكتاب ثم ندم عليه في أواخر عمره، فلو صح هذا الخبر فانه ربما كتبه لما خشى بين الناس سب جدّه أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر أيام بني أميّة وبالخصوص في الشام والحجاز والعراق فأراد بذلك أن يكف الناس عن هذا العمل المشين.

في استشهاده:

روي عن خلف بن خليفة قال: حدثني بواب الحجاج قال: رأيت رأس ابن جبير بعدما سقط إلى الأرض يقول : لا إله إلاّ الله[٢٧].

عن أبي نعيم في تاريخ اصبهان: أنه دخل أصبهان وأقام بها مدّة ثم ارتحل منها إلى العراق وسكن قرية (سنبلان) وقتله الحجاج في شعبان ٩٥هـ وعن بعضهم في ٩٤هـ بواسط ودفن في ظاهرها وقبره بها، ولم يقتل الحجاج بعده أحداً.

لدعائه (اللهم لا تسلّطه على احد يقتله بعدي)، وهلك الحجاج بعده بستة اشهر.

قال ابن خلكان: إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق ويقول: مالي وسعيد.

وقيل: رؤي الحجاج بعد موته، فقيل له ما فعل الله بك؟

فقال: قتلني لكل قتلة قتله، وقتلني بسعيد سبعين قتلة[٢٨].

وفي كتاب المعارف: امر الحجاج، فضربت عنق سعيد، فسقط رأسه إلى الأرض يتدحرج وهو يقول: لا إله الاّ الله! فلم يزل كذلك حتى امر الحجاج مَنْ وضع رجله على فيه، فسكت[٢٩].

روى الطبري أنه لم يك بعده - أي بعد قتل سعيد - إلاّ اربعين يوماً، فكان اذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه، فيقول: يا عدوّ الله! فيم قتلتني؟

فيقول: مالي وسعيد! مالي وسعيد![٣٠].

من كرامات سعيد بن جبير بعد استشهاده

ورأى الدميري في مادة اللبؤة أنه بعد أن اخذ رسل الحجاج له تركوه في

الطريق عند دير راهب ودخلوا الدير، فرأوا بالليل لبؤة واسداً أقبلا؛ فلما دنيا منه تحكّكا به وتمسّحا به، وربضا قريباً منه.

وأن الحجاج لما أمر بقتله ضحك!

فقال: ما أضحكك؟ وقد بلغني ان لك اربعين سنة لم تضحك؟

قال: ضحكت عجباً من جرأتك على الله ومن حلم الله عليك.

وروى أن الحسن البصري قال: كان أهل المشرق والمغرب محتاجين إلى علمه، وأن عمر بن عبد العزيز هو الذي رأى الحجاج في المنام جيفة منتنة، وقال: قتلني بسعيد سبعين قتلة[٣١].

استشهاد سعيد بن جبير:

قال: عون بن أبي شدّاد العبدي بلغني ان الحجّاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل إليه قائداً من أهل الشام من خاصة اصحابه، بينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة له، فسألوه عنه، فقال الراهب: صفوه لي، فوصفوه له، فدلهم عليه، فوجدوه ساجداً يناجي ربّه، فسلّموا عليه فرفع رأسه فأتم بقيه صلاته، ثم ترد عليهم السلام فقالوا: ارسل الحجاج إليك قال: ولابد من الاجابة قالوا: ولابد منها، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قام ومشى معهم حتى انتهى إلى دير الراهب، فقال الراهب اصبتم صاحبكم قالوا نعم، فقال اصعدوا الدير فان اللبوة والاسد يأويان حول الدير، فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك، وأما سعيد لم يدخل الدير فقالوا: ما نراك الا تريد الهرب، قال: لا ولكن لا ادخل منزل مشرك أبداً وقالوا اينا لا ندعك فان السباع تقتلك، قال سعيد: ان معي ربي يصرفها عني ويجعلها حراساً حولي تحرسني من كل شيء وسوء ان شاء الله، قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم، فقال الراهب: اصعدوا الدير واوتروا

القسي لتنفروا عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول في الصومعة، فدخلوا، فاوتروا القسّى فإذا هم بلبوة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت، ثم ربضت قريباً منه، ثم اقبل الاسد فصنع مثلها، ولما اصبحوا نزل إليه الراهب وسأله عن شرايع الدين وسنن النبي ﷺ ففسر ذلك له فاسلم الراهب وحسن اسلامه، واقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطأه بالليل وصلوا عليه، ويقولون يا سعيد: حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق ان نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه فمرنا بما شئت، قال: امضوا لشأنكم فاني لائذ بخالقي ولا راد لقضائه.

فساروا حتى وصلوا إلى واسط، فلما انتهوا إليه قال لهم سعيد يا معشر القوم لست اشك ان اجلي قد حصر وان المدة قد انقضت، فدعوني الليلة اخذ أهبة الموت واستعد لمنكر ونكير وعذاب القبر وما يحثي علي من التراب فإذا اصبحتم فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدون، قال بعضهم لا نريد اثراً بعد عين، وقال بعضهم قد بلغتم امنكم واستوجبتم جوائزكم من الامير، فلا تعجزوا عنه، فقال بعضهم هو علي ادفعه اليكم ان شاء الله فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه واغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه، فقالوا بأجمعهم يا خير من في الأرض ليتنا لم نعرفك، ولم نرسل إليك الويل لنا كيف ابتلينا بك اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر، فانه القاضي الاكبر العادل الذي لا يجور فلما فرغوا من البكاء والمحادثة له ولهم، قال كفيله: أسئلك بالله يا سعيد الا ما زودتنا من دعائك وكلامك: فانّا لن نلقى مثلك ابداً، فدعى لهم سعيد وخلوا سبيله فغسل راسه ومدرعته وكساه، وقام مبتهلاً متضرعاً ليله كلّه، وهم مختفون ولما انشق الصبح جاءهم قرع الباب فقالوا صاحبكم ورب الكعبة، ففتحوا له وبكوا معه طويلاً.

ثم ذهبوا به إلى الحجاج فدخل عليه المتلمس وبشّره بقدوم سعيد، ولما مثل

بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير، قال: انك شقي بن كسير، قال بل أمي كانت اعلم باسمي منك، قال شقيت أنت وشقيت امك، قال الغيب يعلمه غيرك، قال لأبدلنك الدنيا ناراً تلظى، قال لو علمت ذلك بيدك لاتخذتك الهاً، قال فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة، قال فما قولك في أبي بكر وعمر في الجنة أم في النار؟ قال: لو دخلتهما لعرفت اهلهما، قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال لست عليهم بوكيل، قال فأيهم احب إليك قال: ارضاهم لخالقي، قال: أيهم ارضى لخالقك؟ قال علم ذلك عند ربي يعلم سرهم ونجواهم، قال ابيت ان تصدقني؟ قال: بل لم احب ان اكذبك، قلت: وفي رواية انه قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال، حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة انه سمّاني ظالماً مشركاً وتلا لهم قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وقوله ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. رجعنا إلى الحديث الاول: قال فما بلك لا تضحك؟ قال: كيف يضحك مخلوق خلق من الين والطين تأكله النار، قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فوضعه بين يدي سعيد، فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا الا ما طاب وزكى.

ثم دعى الحجاج بآلات اللهو، فبكى سعيد فقال الحجاج: ويلك يا سعيد اي قتلة تريد ان اقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الاخرة، قال: فتريد ان اعفوا عنك؟ فقال: ان كان عفو فمن الله واما أنت فلا وفي رواية انه طال بينهما الكلام إلى ان قال له الحجاج: لأقطعنك قطعاً قطعاً ولأفرقنّ اعضائك عضواً عضواً قال اذن تفسد علي دنياي، وافسد عليك آخرتك، فقال: الويل لك قال الويل لمن زحزح عن الجنة

وادخل النار، فقال اضربوا عنقه، وفي الحديث الاول قال اذهبوا به فافتلوه فلما خرج من الباب ضحك، فاخبر الحجاج بذلك، فقال ما اضحكك قال: جرأتك على الله وحلم الله عليك، فامر بالنطع فبسط، فقال اقتلوه، قال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين، قال وجّهوه لغير القبلة قال سعيد: فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله، فقال كبّوه لوجهه، فقال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى، فقال الحجاج: اذبحوه فقال سعيد: اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، ثم قال اللهم لا تسلطه على احد بعدي، فذبح على النطع وكان رأسه يقول بعد قطعه لا اله الا الله محمد رسول الله، قيل لم يبق بعده الحجاج الا خمس عشرة ليلة وذلك سنة خمس وتسعين، وعمر سعيد تسع واربعون سنة، وفي رواية صاحب الكشكول انه ما بقى بعد سعيد إلا ثلاثة أيام، وقيل بل مات بعده بستة اشهر، ولم يسلطه الله على قتل احد بعده حتى مات(٣٢).

هوامش البحث

(١) النساء: ٢٤؛ يُنظر: تذكرة الحفاظ ٧٦؛ تفسير ابن كثير ٤٧٤/١.

(٢) اعراب القرآن ٤٢/٣.

(٣) ينظر: طبقات ابن سعد ٥٦/٦؛ تاريخ الطبري؛ رجال ابن حيان ٨٥؛ حلية الاولياء ٢٧٢/٤؛ تاريخ ابن الاثير؛ اعيان ١٩٩/١١؛ تهذيب التهذيب ١١/٤؛ تاريخ ابن الاثير؛ تذكرة الحفاظ ٧٦؛ العقد الثمين ٥٤٩/٤.

(٤) الصحيح ابو عبد الله، وابو محمد كنية سعيد بن المسيب، انتبه.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ١٧٦/٤.

(٦) رجال الكشي ص٩٣ ترجمة ٥٥.

(٧) رجال الكشي ص٩٣ ترجمة ٥٥.

(٨) الامامة والسياسة ٥٢/٥.

(٩) وفيات الاعيان ١١٥/٢.
(١٠) ابن خلكان، وفيات الاعيان ٣٦٨/١.
(١١) ابن خلكان، وفيات الاعيان ٣٦٨/١.
(١٢) ابن كثير، البداية والنهاية ١٨٣١/٣.
(١٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان ٣٦٧/١.
(١٤) سنن أبي داود ٥٤/٢ وسنن النسائي باب قيام الليل ٢٠١/٣.
(١٥) السنة لعبد الله بن احمد.
(١٦) السنة لعبد الله ابن احمد ١/ حديث ٦٦٤.
(١٧) السنة لعبد الله بن احمد ٣١٤/١ حديث٦٥٩.
(١٨) السنة لعبد الله بن احمد ٣١٢/١.
(١٩) السنة لعبد الله ٣١٥/١ حديث ٦٦٨.
(٢٠) السنة لعبد الله ٣١٦/١ حديث ٦٧٣.
(٢١) السنة لعبد الله ٣١٦/١ حديث ٦٧٤.
(٢٢) السنة لعبد الله ٣١٦/١ حديث ٦٨٩، حديث٦٩١، حديث ٧٢٣.
(٢٣) الاحزاب:٥١.
(٢٤) لسان العرب مادة: رجأ ؛ النهاية مادة: رجأ ٢٠٦/٢.
(٢٥) الفرق بين الفِرق ص٢٠٢ ط مصر.
(٢٦) الفرق بين الفِرق ص١٣٥.
(٢٧) تهذيب الاسماء واللغات، القسم الاول ص٢١٦.
(٢٨) ابن خلكان، وفيات الاعيان ١١٦/٢.
(٢٩) ابن قتيبة، المعارف ص٤٤٥.
(٣٠) الطبري، تاريخ الملوك ٤٩٠/٦.
(٣١) الدميري، حياة الحيوان ٣٠١/٢.
(٣٢) محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، ط١، ج٤، دار احياء التراث العربي، لبنان- بيروت، ١٤٣١هـ، ص٤٠-٤٢.